**بدايات علم النفس المعرفي:**

بدأ الاهتمام بالمعرفة الانسانية منذ عهد الاغريق من خلال مناقشتهم لطبيعة واصل

المعرفة كأفلاطون وارسطو وكانت هذه المناقشات الجدلية فلسفية في المقام الاول من

حيث طبيعتها ,وكان الموقفان المفس ا رن لها يعب ا رن عن التجريب والفطرية.

وخلال القرون السابع عشر والتاسع عشر اشتد الجدل بين الفلاسفة الانكليز حول

النظرة الواقعية للملاحظة والتجريب وبين الطرف الاخر من الفلاسفة المؤيدين لوجهة

النظر الفطرية,وكانت هذه المناقشات تقوم على اساس فلسفي,واستمر الجدل والمناقشات

الفلسفية مدة طويلة تطورت خلالها علوما بشكل ملحوظ مثل الفلك والطبيعة والكيمياء

والاحياء الا ان هذا التطور لم يصاحب اية ملاحظة لتطبيق المنهج العلمي لفهم المعرفة

الانسانية ولم يجد هذا الفهم مكانا حتى نهاية القرن التاسع عشر حيث كان يبدو قبل

ذلك ان الطبيعة الانسانية غير قابلة للتحليل العلمي,وكان علم النفس المعرفي يتمركز

حول الذات والاساطير والابحاث المشوشة نحو طبيعة النفس البشرية .وخلال اكثر من

مئة عام الاخيرة تم الوقوف على ان المعرفة الانسانية يمكن ان تكون موضوعا للد ا رسة

العلمية اكثر من كونها تأملات فلسفية.

ففي المانيا اسس فونت عام 1879 اول معمل لعلم النفس وكان هذا العلم هو علم

النفس المعرفي مقارنة بالفروع الرئيسية الاخرى لعلم النفس,وقد استخدم فونت وتلاميذه

د.خديجة حيدر نوري

4

وجانب كبير من علماء علم النفس طريقة الاستبطان وهي طريقة منهجية ,وكان

الفاحصون من ذوي التدريب العالي المستوى يقدمون التقارير عن مضمون الشعور لديهم

)محتويات وعيهم( من خلال ظروف او شروط تجريبية مضبوطة بعناية و دقة , وقد

أسس فونت مبدأ م ا رقبة الذات self-observation ، حيث يتأمل الفرد ما يدور بداخله

من عمليات عقلية ثم يقوم بوصفها فو ا رً وبشكل مباشر دون أي تأخير وقبل ممارسة أية

أنشطة أخرى خارج موضوع التجربة. وكانت الاعتقادات السائدة في ذلك الوقت أنه

ينبغي إخضاع محتويات العقل والعمليات العقلية للملاحظة الذاتية. ولذا فإن التفسي ا رت

التي كانت تقدم للعمليات المعرفية ، هي ملاحظات تم التوصل اليها من خلال التقارير

الاستبطانية.

لقد انشعل علماء النفس الامريكين الاوائل بما اطلقوا عليه اسم )الاستبطان( لان

علم النفس الاستبطاني لفونت لم يكن مقبولا بدرجة كبيرة في ام ريكا, وان الاستبطان

لدى الامريكيين لم يكن بمعنى التحليل الدقيق والمكثف لمحتويات الذهن كما فعل

الالمان , فانشغل العديد من علماء النفس الامريكين في ذلك الوقت بموضوع التعليم كما

ان الحاجة كانت موجهة الى علم نفس الطفل.

وفي اوربا قدمت المعامل )المختب ا رت( انماط اً مختلفة من تجارب الاستبطان بالوقت

الذي كان يتم فيه تجاهل عملية الاستبطان خلال القرن التاسع عشر , وقد بدا واضحا

من تجارب المعامل المختلفة ان هذه الطريقة لاتعطي رؤية واضحة بالنسبة للاعمال او

العمليات التي تتم في الذهن ولم يكن الكثير من الاعمال المهمة في الوظائف العقلية

اوضحة نسبة للخبرة الشعورية.. وفي القرن العشرين ولعدم الصلة والتناقضات الواضحة

في طريقة الاستبطان .,وبسبب هذين العاملين فقد تم بهما وضع الاساس العملي للثورة

السلوكية في علم النفس الامريكي . تلك التي حدثت عام 1920 فقد بدأ جون واطسون

وعلماء نفس سلوكيون اخرون هجوم ا على الاستبطان وعلى كل محاولة لتطوير نظرية

عن العمليات العقلية واعتماد السلوكية في اهتمامها بصورة كاملة بالسلوك الظاهر وعدم

محاولة تحليل الاعمال او العمليات الذهنية التي تقع و ا رء هذا السلوك.

د.خديجة حيدر نوري

5

لقد خلى البرنامج التجريبي السلوكي لمدة 40 عاما من أي بحث جاء في المجال

المعرفي، وتم استبدال التعلم الانساني بالتعلم الحيواني، وصار التركيز منصباً على

الكشف عن المبادئ التي تحكم التعلم الحيواني ومن ثم استخدامها في تفسير التعلم

الانساني ،وقد تم أكتشاف الكثير من المبادئ، ولكن القليل مما تم اكتشافه يتناسب مع

علم النفس المعرفي.

لقد كان علم النفس المعرفي يمثل موضوع ا نشط ا في البحث في المانيا وقد فقد الكثير

منه عندما هاجر عدد من علماء النفس الالمان الى امريكا وجلبوا معهم نظرية الجشطلت

وكان عالم النفس الامريكي تولمان الذي شارك بكثير من الافكار عن علم النفس

المعرفي الحديث ،يقوم ايضابتجاربه على تعليم الحيوانات وتحدث بلغة السلوكية

,واستطاع علماء النفس السلوكيين الامريكان ان يتناولوا مثل هذا الموقف والتمسك به

على المدى الطويل لان الاستبطان اثبت انه لايعتمد عليه في الثبات ,ان ذلك لايعني

انه من المستحيل تطوير نظرية للبناء العقلي الداخلي وعملياته, ومع ذلك فان بناء

نظرية في البناء الداخلي تجعل من فهم الكائن البشري اكثر سهولة , وشهد علم النفس

المعرفي خلال الجزء الاخير في القرن العشرين ان تحليل العمليات الفكرية المعقدة

ضروري ا وايضا الفروض الخاصة بالبناءات العقلية والعمليات الخاصة بها.

**الجذور الفلسفية لعلم النفس المعرفي**

ان الاسس الفلسفية لعلم النفس المعرفي تستند على كتابات بعض الفلاسفة اليونانيين

امثال ارسطو وأفلاطون حيث ناقشوا موضوعات تتعلق بالمعرفة واصولها وطرق

الوصول اليها ,كما تناولوا طرق الاستدلال ومحتويات العقل وموضوعات اخرى مثل

الاد ا رك والذاكرة .ويرى ارسطو ان الملاحظة واستعمال الحواس هي السبيل للوصول الى

المعرفة ,كما ان قوانين الفكر وبخاصة قانون الاقت ا رن تشكل لديه الاساس الذي يقوم

عليه الاتجاه الارتباطي في علم النفس الحديث ,ويتضح ان ارسطو يركز على دور

البيئة واهمية الخبرة في تطور العقل وزيادة محتوياته كما تشكل الملاحظة الحسية في

نظرة الادا ة التي تستخدم في اكتساب المعرفة الصادقة وتطويرها .

د.خديجة حيدر نوري

6

أما افلاطون يرى ان المعرفة تولد مع الانسان وهي موجودة في العقل وليست مكتسبة

, وينحصر دور التعلم في تسهيل ظهور هذه المعرفة والكشف عنها وان التفاعل مع

البيئة يساعد العقل في توليد المعرفة الموجودة لديه ويسهم في تسهيل استدعائها.

اما بالنسبة للذاكرة فقد قدم افلاطون نظرية سماها )نظرية النسخ( او )لنظرية الشمعية(

وتصور هذه النظرية ان العقل يكون انطباعات عن الحركات التي يصادفها من خلال

عمل نماذج او نسخ لها ويشبه المخ بقطعة شمعية تختلف في حجمها ومرونتها

باختلاف الاف ا رد بحيث تنطبع عليها مدركات الفرد , وكلما طال الوقت الذي يحتفظ فيه

العقل بهذه الانطباعات او النسخ , تحسن اد ا رك الفرد لها, لان انطباعها على سطح

الطبقة الشمعية يصبح اكثر وضوح ا . ويمكن القول ان افكار افلاطون حول المعرفة

ومكونات العقل والذاكرة تشكل الاسس الفلسفية للاتجاه المعرفي في علم النفس.

وقد ا زدت حدة الجدل بين الفلاسفة البيئين والوارثيين خلال القرن السابع والثامن عشر

والتاسع عشر ويرى لوك ان الخبرة هي اساس المعرفة لان عقل الطفل عند ولادته يكون

كالصفحة البيضاء يتشكل محتواها من خلال الخبرة والتفاعل مع مفردات البيئة ,وان

المعرفة تتكون من افكاربعضها بسيط و بعضها معقد , وتشكل الافكار البسيطة اساس

المعرفة ومنها الاستدارة والاحم ا رر , وعندما تت ا ربط هذه الافكار البسيطة معا فانها تشكل

الافكار المعقدة , فالتفاحة تشكل فكرتها من اتحاد كل هذه الخصائص . وقد شكلت

افكار لوك وهوبز وهيوم الاتجاه الامبريقي الذي يركز على دور الملاحظة والخبرة , وقد

اثرت هذه التفسي ا رت في فلسفة الارتباطيين البريطانيين امثال )جيمس بيل( و)بين(

و)جون ستيوارت ميل (.

و أ رى هؤلاء المفكرون ان الاقت ا رن هو الالية التي تتكون من خلالها الارتباطات,

فالاحداث التي تقترن مع ا زماني ا او مكاني ا ترتبط مع بعضها ويتقوى الارتباط بتك ا رر

حدوث هذه الافكار مع ا وبالتالي فان حدث ما يؤدي الى استدعاء الفكرة او الحدث الذي

يقترن به ويكون الارتباط سبب تدفق الخب ا رت الشعورية وان المفاهيم والافكار متصلة

ومشتبكة مع ا وفق نظام يسهل تدفقها واستدعائها عند الحاجة.

د.خديجة حيدر نوري

7

اما الفيلسوف)ديكارت( فقد قسم الافكار الى فطرية ومكتسبة عند طريق الخبرة, واشار

الى ان الخبرة تنشط عمل ماهو فطري لدى الانسان , كما ذكر ان بالامكان فهم عمل

العقل والجسم من خلال التحليل الميكانيكي وبذلك يكون ديكارت قد ادخل مصطلح

العمليات المعرفية ونظر الى الجسم والعقل الانساني على انه آلة يمكن فهمها من خلال

التحليل الميكانيكي , وهذه مهدت لظهور الابحاث في علم الحاسوب لاحقا .

لقد ايد هذه التفسي ا رت)كانت( الذي ارتأى ان خصائص العقل البشري هو مفتاح

الاستفادة من الخبرة التي تتكون بدورها من خلال عمل العقل. فحين نصدر حكم ا او

نتخذ ق ا ر ا ر يكون ذلك نتاج تفاعل العقل والخبرة معا وفهم العلاقات المنطقية لايتأتى من

خلال الخبرة وحدها, وان الحالة الفطرية التي تولد مع الف رد هي سابقة عن المفاهيم .

ويرى ان محتويات العقل الفطرية والمكتسبة بالتفاعل مع البيئة تؤثر في سلوك الفرد

وتوجهه ولا يختلف السلوك الفكري عن السلوك العضلي في ذلك اذ ان العقل هو مصدر

نشط لتوليد الافكار والمعرفة عموم.\_\_